Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهناك ملاحظة أود أن تكون واضحة قبل أن أغادر هذا الجانب من البحث ، وهي أن الشارح ـ المُطْنِب ـ ما كان ليكتفي بعرض الشواهد المستجادة المناسبة لما يريد ، في أغلب الأحيان ، وإنما كان يبحث عن الشيء المستقبح من الشعر أيضاً، وما لم تقبله الأذواق من قرائح الشعراء ، وهذه الطريقة ليست مبتكرة من قبل أصحاب (البديعيات)، إنما هي من أقدم قواعد البديع ، بل كأنني أرى هؤلاء الشراح سلكوا طريقة ابن المعتز في « بديعه » فقد كان يسير على الطريقة ذاتها في ذكر ما يستحسن من شواهد النوع ، ثم ما يستقبح منه ، فهو ـ مثلا ـ بعد أن يحدد (التجنيس) ويذكر شواهده من القرآن والحديث وأقوال الصحابة والمحدثين من الشعراء ، يقول : « ومن التجنيس المعيب في الكلام والشعر قول بعض المحدثين وهو منصور بن الفرج :

أُكَابِدُ مِنْكَ أَلِيمَ الأَلَمِ فَقَدْ أَنْحَل الجِسْمَ بَعْدَ الجَسَم »[1]

ثم يستمر في عرض مثل هذا الأنموذج ، وهذا دَيْدَنُه في عمله كله . وكما قلت ، يبدو أن أصحاب (البديعيات) ما أرادوا أن يحيدوا عن هذه السنة فاتّبعوها ، وخاصة في شرحهم لنوع (براعة الاستهلال).

٤ ـ شواهد النثر :

لمّا كان شرّاح (البديعيات) من أرباب النظم والنثر ، ولمّا لم تكن البلاغة بفنونها مقتصرة على الشعر دون النثر ، أصبح من الواجب أن لا تقتصر شواهدهم على الشعر ، بل أكثر من ذلك ، فإنهم وجدوا في النثر مادة أخرى تكشف عن جانب من جوانب ثقافتهم ، وتنمّ عن طول باعهم في هذا المجال ، فكادت أن تكون أمثلتهم النثرية بقدر أمثلتهم الشعرية أو دونها بقليل ، فاتخذوا من أقوال البلغاء وخطب العلماء وأمثلة الفصحاء ومناظرات الأدباء مادة هامة في الاستشهاد بها إلى جانب الشعر .

---

(١) البديع ، ص : ٣٤ .